

الوافي في الوفيات

وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبراً فقال البديع الأسطرابي فيهما :

أبو الحسن الطبيب ومُقتَفِيهِ ... أبو البركات في طَرَْفَي نَقِيضِ .
فهذا بالتواضع في الثريا ... وهذا بالتكبر في الحضيض .

وكان ابن التلميذ حَسَنَ السمت كثير الوفار حتى قيل إنه لم يُسمع منه بدار الخلافة مدة ما تردّد إليها شيءٌ من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي لأنه كان له راتبٌ بدار القوارير ببغداد فقطّعت ولم يعلم به الخليفة فاتفق أنه كان عنده يوماً فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة ومشقة من الكبر فقال له الخليفة : كبرت يا حكيمٌ فقال : نعم يا مولانا وتكسرت قواريري وأهل بغداد يقولون لمن كبر : تكسرت قواريره فقال الخليفة : هذا الحكيم لم أسمع منه هزلاً قطّ فاكشفوا قضيتّه فوجدوا راتبه بدار القوارير قد قُطعت فتقدم بـردّها عليه وزاده إقطاعاً آخر ولمّا توفي لم يبق أحد من الجانبين ببغداد من لم يحضر البيعة وشهد جنازته ومن شعره لغز في الميزان الذي للشمس :

ما واحدٌ مختلفٌ السماءِ ... يعدلُ في الأرض وفي السماءِ .
يحكم بالقسط بلا رياء ... أعمى يُري الإرشادَ كلِّ رائِي .
أخرسٌ لا من علةٍ وداء ... يغني عن التصريح بالإيماء .
يجيب إن ناداه ذو امتراء ... بالرفع أو بالخفض في الذّداء .
يُفصح إن علّق في الهواء .

ومنه في ولده وكان بعيداً عن أبيه في سائر أحواله :

أشكو إلى صاحبٍ شكساً ... تُسعرُفه النفسُ وهو يعسرها .
فنحن كالشمس والهلالِ معاً ... تكسبه الذُّورَ وهو يكسرها .
ومنه :

يا من رمانِي عن قوسِ فُرْقَتِهِ ... بسهمِ هَجْرِهِ غلا تَلافيهِ .
إرضَ لمن غاب عنك غيبتهُ ... فذاكَ ذَنبٌ عِقابِهِ فيه .

وذكر العماد الكاتب في الخريدة البيت الثاني منسوباً إلى أبي محمد ابن جَكَينَا وضمّ إليه بعده :

لو لَمْ يَنَلْهُ من العِقابِ سوى ... بـُعدِكَ عنه لكان يكفيه .

وأورد الحظيري في زينة الدهر لابن التلميذ : .

عاتبتُ إذ لم يَزُرْ خيالُك والن ... ومُ بشوقي إليك مسلوبُ .

فزارني مُنعِمًا وعاتبني ... كما يقال المنام مقلوب .

ومن شعر ابن التلميذ : .

بُلَاهِذَةَ الشبيبةِ سَكْرَةً ... فَصَحَّوْتُ واستأنفتُ سيرةَ مُجْمِلٍ .

وقعدتُ أنتظر الفناءَ كراكبٍ ... عَرَفَ المحلَّ فنام دُونَ المَنزِلِ .

وذكر أن أبا محمد بن جكينا مرض فقصده ليعالجه فلمَّا عُوْفِيَّ أعطاه دراهم فقال فيه : .

جَادَ واستنفَّ المريضَ وقد كا ... د ضننيَّ أن يلفَّ ساقًا بساق .

والذي يَدفع المنونَ عن النف ... س جديرُ بِرِقسمةِ الأرزاق .

وقصده مرَّةً أن يَعبُرَ إليه دجلة ليداويهُ فكتب إليه : .

إنَّ امرؤ القيس الذي ... هام بذات المحمل .

كان شفاه عَبرةُ ... وعَبرةُ تصلحُ لي .

وكان ابن جكينا قد عمي في آخر عمره وجرت بينهما منافرة في أمر واشتهى مصالحته فكتب

إليه : .

وإذا شئتَ أن تصالح بشيئا ... ر بن بُردٍ فاطرح عليه أياهُ .

فسير إليه بُردًا وله معه وقائع وحكايات وبين ابن التلميذ مُجاراتُ ومُجاوراتُ ومن

شعره ابن التلميذ : .

جُودُهُ كالطبيب فينا يداوي ... سوءَ أحوالنا بحسنِ الصنيعِ .

فهو كالموميا إذا انكسر العَظ ... مٌ ومثل الترياق للملسوع .

وقال في ولده سعيد : .

حُبِّي سعيدا جوهرُ ثابتُ ... وحُبِّيُّه لي عَرَض زائلُ .

به جهاتي الستُّ مشغولةُ ... وهو إلى غيري بها مائل .

وقال أيضا : .

تقسَّم قلبي في محبةِ معشرٍ ... بكل فتى منهم هَوَايَ منوطُ .

كأنَّ فؤادي مركزُ وهمُّ له ... مُحيطُ وأهوائي إليه خطوط .

وكان دائما يؤزَّب ولده بهذا البيت .

والوقتُ أنفَسُ ما عيَنتُ به ... وأراه أشهلُ ما عليكَ يَضِيع .

ويقال إن البيتين قبل هذا لأبي علي المهندس المصري وقال ابن التلميذ :